

القواعد اللغوية وسنة التطور

الدكتور داود عبده
جامعة الكويت

الدراسات المقارنة بين اللغات السامية (1) وقد طبقت العربية قاعدة تحول الـ P الى صوت مستمر اي الى فاء ، على الكلمات المقترضة من لغات اجنبية كما تدل الامثلة التالية :

مردوس ، فندق ، اسفنج (من اليونانية)
مرد ، فلفل ، فولاذ (من الفارسية) (2) .

غير ان الـ P قد اخذت في العصر الحديث تتحول الى نظيرها المجهور ، اي الى باء ، كما تدل اسماء مثل باريس وباكستان الخ . ويبدو ان القاعدة الاخيرة قد حلت محل القاعدة الاولى منذ زمن طويل ، ففي العربية كلمات مقترضة من لغات اجنبية حولت فيها الـ P الى باء ، لا الى فاء :

القواعد اللغوية تختلف ، كما هو معروف ، من لغة الى لغة . بل من لهجة الى لهجة . غير ان وجود قاعدة لغوية معينة في لغة ما ، او لهجة ما ، لا يعني ان هذه القاعدة تظل حية الى الابد . فهناك كثير من القواعد تطبق فترة من الزمن ثم تجدد ، اي يتوقف تطبيقها على المفردات الجديدة التي تدخل اللغـة . وسأعرض في هذا المقال عددا من القواعد الصوتية التي كانت موجودة في اللغة العربية ، او ببعض لهجاتها ، ثم توقف تطبيقها في مرحلة لاحقة :

1 - تحول الـ P الى فاء :

لم يكن في اللغة السامية الام فاء ، والفاء الموجودة في العربية (والاثيوبية) عن P كما تدل

(1) انظر : S. Moscati, An Introduction to the Comparative

Grammar of the Semitic Languages, Weisbaden, 1964, pp. 24-25 and 43-45

(2) اصل هذه الكلمات على التوالي هو : pandhokiyon, paradhisos

Spongos يزيد parano بلبل peipel بولاد Polad

وقد اقتصرت الكلمة الاولى باعتبارها جمعا (مراديس) واشتق منها المفرد (مردوس) . انظر الامثلة السابقة وغيرها في كتاب غرائب اللغة العربية لرفائيل نخله ، الطبعة الثانية ، بيروت ، 1959 .

بطاقة - بطريك ، من اليونانية)
امراطور ، بترول من اللاتينية. (3)

2 - تحول الجيم الى ياء :

اصلية . مرغم انها تاريخيا منقلبة عن جيم . الا انهم يتعلمونها باعتبارها اصلية في الكلمات التي تقع فيها . كالياء في يد ويلمب . وهذا لا يختلف عن تعلم الفاء في كلمات مثل فعل او فقد فيجن جميعا تتعلمها باعتبارها اصلية ، لا باعتبارها منقلبة عن P . ولكننا اذا عربنا كلمة جديدة من لغة اجنبية ، تحتوي على P ، فاننا لا نحول هذه الـ P الى فاء ، رغم ان اسلاننا في الماضي قد معطوا ذلك .

3 - تحول الذال والثلثة والظاء :

تحولت الاصوات الثلاثة السابقة في كثير من اللهجات العربية من اصوات مستمرة الى اصوات غير مستمرة ، اي الى دال وتاء وضاد على التوالي :

ذَنب (بفتح النون) ← ذَنب

كثير ← كثير

عظم ← عظم

غير ان القاعدة السابقة قد توقف تطبيقها في مرحلة لاحقة ، واصبحت الاصوات السابقة تحول في الكلمات التي دخلت تلك اللهجات (من النصحى او من لغات اجنبية) من اصوات غير صفيرية الى اصوات صفيرية ، اي الى زاي وسين وزاي منخفة على التوالي :

ذَنب (بسكون النون) ← زنب

ثمرة ← سمرة

عظيم ← عزيم (بزاي منخفة)

بل ان بعض ابناء هذه اللهجات يطبق في عصرنا الحاضر القاعدة الاولى على كلمة ما في حديثه العادي

تحولت الجيم الى ياء في بعض لهجات الخليج كما هو معروف ، فاصبحت رَجَال . رِيَال ، الجيمة : البيعة ، الخ . غير ان هذه القاعدة توقف تطبيقها وهي لا تطبق الآن على الجيمات التي دخلت اللهجة في مرحلة لاحقة سواء كان ذلك بانتقال الجيم المصرية (g) جيمًا ، كما في جدر وجدام وجاسم الخ (4) او في الكلمات المقترضة حديثا من لغات اجنبية مثل كراج ، او من النصحى مثل جامعة . اي ان دخول قاعدتي تحول الجيم الى ياء ، والجيم المصرية الى جيم كان بالترتيب التالي :

اولا : ج ثم ني

ثانيا : (g) ثم ج

وهو ترتيب نستنتجه من واقع اللهجات ، لا من وثائق تاريخية . فلو كان الترتيب بعكس ذلك لتحولت الجيم في مثل جدر وجدام وجاسم الى ياء ، فاصبحت يدر ويدام ، وياسم على التوالي ، لان القواعد الصوتية لا تميز بين الجيم الاصلية والجيم المنقلبة عن (g) اذا كانت موافعا في الكلمة واحدة .

وقد يقول قائل : ما دامت قاعدة تحويل الجيم الى ياء لم تعد مطبقة ، فلماذا لا يكف ابناء هذه اللهجات عن تحويل الجيم الى ياء في الجيمة ورَجَال الخ ؟ والجواب ان الياء في البيعة ورِيَال الخ . لا تعتبر بالنسبة لابناء هذه اللهجات محولة من جيم ، بل تعتبر

(3) انظر المرجع السابق .

(4) الجيم التي تحولت الى ياء هي نفس الجيم الموجودة في النصحى ومعظم اللهجات العربية المعاصرة وقد كانت في اللغة السامية الام جيمًا مصرية (g)

واما الجيم الموجودة في جدر وجدام وجاسم الخ ، فهي تقابل القاف النصحى (قدر ، تدام ، قاسم) والجيم المصرية (g) في كثير من اللهجات البدوية والهمزة في كثير من اللهجات العربية الاخرى . ولا بد ان القاف في العربية الام قد تحولت الى جيم مصرية اولا ثم الى جيم ، اذ ليس من الطبيعي ان تتحول القاف وهي صوت لهوي غير مجبور ، الى صوت انفسى حنكى مجبور دون ان تصبح قبل ذلك صوتا اقصى حنكى مجهورا .

ويطبق القاعدة الثانية على الكلمة ذاتها حين يلفظها في معرض قراءة النصحى (او التحدث بها) (5)

كثير	كثير (عامية)
ذهب	كسير (نصحى)
	ذهب (عامية)
	زهب (نصحى)
ظل	ضل (عامية)
	زل (يزاي منخمة) نصحى

4) حذف الهزة اذا كانت أحد صحيحين متواليين في بداية الكلمة :

مرت على اللغة العربية (او بعض لهجاتها) فترة كانت تحذف فيها الهزة في اول الكلمة اذا كانت « ساكنة » ، اي مطبوعة بصوت صحيح (كما في خذ وكسل ومر) او تالية مباشرة لصوت صحيح تبدأ به الكلمة (كما في سل) :

أَحَذُّ (ء خ ُ ذ)	حَذُّ (خ ُ ذ)
عَالَ (س َع ل)	تَلُّ (س َل)

غير ان هذه القاعدة لم تعد تطبق . وفي اللهجات المعاصرة لا تحذف الهزة في الموقمين السابقين ، كما يتضح من الامثلة التالية في اللهجات التي تحولت فيها القاف الى هزة :

ثَلَب (ق َل ِ ب)	إَلَب (و َل ِ ب)
مُطَع (ق َط َع)	أَطَع (و َل ِ ب)
مُصَّف (ق ِ ص َف)	أُصَّف (و َل ِ ب)
مُتَع (ف ِ ق َع)	إِئَاع (و َل ِ ب)

اي ان ما تطبقه هذه اللهجات هو القاعدة العامة التي تضيف « هزة وصل » وحركة منعا للبدء بـ

« الساكن » ، اي تجنباً للبدء بصحيحين متواليين .

ويبدو ان قاعدة حذف الهزة في الموقمين السابقين لم تتم جميع اللهجات العربية القديمة ، فالنصحى تجيز اسأل الى جانب سل ، والامر الى جانب مر (6)

5 - حذف الهزة «الساكنة» بعد همزة (متحركة)

من التواعد الصوتية المعروفة في العربية قاعدة حذف الهزة « الساكنة » اذ تلت همزة « متحركة » وإطالة العلة القصيرة (الحركة) التالية للهزة الاولى:

أَأْن	أَمْن
أَأَلَام	إِيْلَام
أَأَمْن	أَوْمَن

ولكن هذه القاعدة لم تعد تطبق على الهزات التي دخلت اللهجات المعاصرة :

أَأْدَر	أَأْدَر (وليس آذر)
إَأْتَلِب	إَأَلْب (وليس ايلب)

6 - القلب المكاني بين شبه العلة والعلة :

يتبع في العربية قلب مكاني بين شبه العلة والعلة التي من جنسها اذا وقعت بهذا الترتيب في منتصف الكلمة : (7)

يَأْتُول (ي ِ ت ِ ق ِ و ِ ل)	يَقُول (ي ِ ق ِ و ِ ل)
يَسْتَوِيل (ي ِ س ِ ت ِ م ِ ي ِ ل)	يَسْتَمِيل (ي ِ س ِ ت ِ م ِ ي ِ ل)

اما اللهجات المعاصرة التي تحولت فيها الجيم الى ياء ، فلا تطبق القاعدة السابقة على الامثلة التي

(5) في الواقع ان المتكلم لا يطبق القاعدة الاولى بالمفهوم الدقيق لكلمة « تطبيق » مما قلناه عن لفظ الجيم ياء في بعض لهجات الخليج ينطبق هنا ايضا ، لان المتكلم تعلم كلمات مثل ذهب ودليل ، وتالت وكثير ، وعضم وضم ، على ان الدال والتساع والضاد فيها اصلية .

(6) وقد ورد في القرآن الكريم : « وأمر بالمعروف ونه عن المنكر » (لقمان : 31) « واسأل القرية التي كنا فيها » (يوسف : 21) الخ.

(7) ثم تتحولان الى علة طويلة (ضمة طويلة او كسرة طويلة)

(8) من اللهجات العربية التي تطبق قاعدة تقصير العلة الطويلة في هذه الحالات اللهجة الشامية وقد اصبحت الامثلة السابقة : حلتها واخترني وحبكم وظرفنا (يزاي منخنة) على التوالي .

تحتوي على مثل هذه الياء .
يستعمل يستعمل (وليس يستعمل)

7 - تقصير العلة الطويلة :

تتصر العلة الطويلة في المربية اذا وقعت قبل صحيح « ساكن » ، اي قبل صحيحين متواليين :

احتاروا + ت احتاروا (قارن : احتارت ، احتاروا)

يقولون + ن يقولون (قارن : يقولون ، يقولان)
يبيعون + ن يبيعون (قارن : يبيعون ، يبيعان)

وفي معظم اللهجات المعاصرة لا تطبق القاعدة السابقة في الامثلة التي طرا فيها « السكون » (نتيجة سقوط الحركات الاعرابية) :

حائنه	حائنه
اختازني	اختازني
حبيكم	حبيكم
ظروفنا (8)	ظروفنا

ويبدو ان قاعدة تقصير العلة الطويلة هذه قد توتف تطبيتها منذ امد طويل جدا . ففي النصحى لا

تتصر العلة الطويلة اذا تلاها صحيح « ساكن » نتج « سكونه » عن حذف العلة القصيرة الواثمة بين صحيحين متلين :

حائل³ حال³ (وليس : حلت)

ومما يؤيد هذا الاستنتاج ايضا ان العلة الطويلة في النصحى تتصر اذا وقعت قبل صحيح « ساكن » في آخر الكلمة بشرط الا يكون ذلك « السكون » ناتجا عن حذف الحركة الاخيرة للوقف :

عصا (نعل) + ت عصا
عصا (اسم) + ن عصا (عصا)

اما عند اسقاط الحركة الاخيرة للوقف ، فان العلة الطويلة لا تتصر ، فـ جواث (بسكون الباء) لا تصبح جوث ، وكريم (بسكون الميم) لا تصبح كرم الخ.

ونستطيع ان نستنتج من كل هذا ان توتف تطبيق قاعدة تقصير العلة الطويلة اذا وقعت قبل صحيح « ساكن » قد ترا من مع سقوط الحركة الاخيرة في اللهجات المربية ، سواء كان سقوطا نهائيا او للوقف .